أصناف التراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي

أ.د. سمير الدروبـــــــي

جامعة مؤتة- قسم اللغة العربية

لقـد خـدم حـركة الـترجمة والتعريـب في ديوان الإنشاء[1] في العصر المملوكـي الممـتد قرابة ثلاثمئة عام تقريباً عدد كبير من التراجمة من مختلف الطوائف والأجناس، ويمكن تصنيفهم إلى ما يأتي:

- **كتاب ديوان الإنشاء:**

أدى ديـوان الإنشـاء دوراً كبـيراً وخطيراً في إدارة الدولة المملوكية وتسيير أمورها، وامتدت صلاحيات صاحبه المسمّى بكاتب السر أو صاحب الدواوين الشريفة أو كاتم السر إلى أكثر الجوانب أهمية في تصريف شؤون الحكم سواء أكانت مدنية أم دينية أم سياسية أم عسكرية أم اقتصادية.

فديـوان الإنشـاء ولا سيما كاتب سره مسؤول عن التعرف على أخبار الممـالك المختلفة وعرضها على السلطان، وهو القائم بكتابة التعيينات لكبار موظفـي الدولة من مدنيين وعسكريين، وهو الراسم لحدود صلاحياتهم في وصاياه التي ترفق بتقاليدهم أو تواقيعهم أو مناشيرهم.

وفـوق ذلـك، فإنه كان مسؤولاً عن نشاط جهاز البريد وتنظيمه تنظيماً دقيقاً براً وبحراً وجواً، وكذلك عرض ما يحصل عليه البريدية من أخبار[2]، أو يـأتون بـه من رسائل على السلطان، بل إن صلاحياته تجاوزت الإدارة الداخلـية إلـى تنظـيم العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى عن طريق

---

١. انظر: الدروبي، "حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ع ٦٢، ٢٠٠٢م، ص ١١-٧٣.

٢ . انظر: الشيباني، رسالة رصف الفريد في وصف البريد: ٦-٧ (مقدمة المحقق: سمير الدروبي).

مخاطباتهم وتلقي رسائلهم، واستقبال سفرائهم ، وتنظيم إقامتهم ومقابلتهم للسلطان[1] .

وبناء على ما ذكر من مهام الديوان وواجباته، فإن صاحبه يحتاج إلى عدد كبير من الكتاب المضطلعين بالعربية وغيرها من اللغات السائدة في ذلك الوقت، ولذا فإننا نجد في مصادر ذلك العصر ما يشير بوضوح إلى أولئك الكتاب التراجمة الذين يحسنون العربية وغيرها من اللغات.

ولو وقفنا على العصر الأيوبي الذي كان العصر المملوكي امتداداً له لوجدنا كاتباً كبيراً يلي القاضي الفاضل أهمية في دولة صلاح الدين، وهو العماد الأصفهاني(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الذي ذكر لنا في ترجمته أنه كان ينشئ الكتب بالعجمية[2] .

وقبيل أفول نجم الإمارات الأيوبية وبداية الزحف المغولي إلى بلاد الشام نجد أن أمراء الأيوبيين بدمشق ومصر قد استخدموا في ديوان الإنشاء واحداً من الكتاب الأعاجم وهو المؤيد بن الموفق بن محمد الدفترخوان الحنفي الذي قدم إلى دمشق في أيام الناصر صلاح الدين داوود (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، ثم باشر العمل في ديوان الإنشاء بمصر أيام نجم الدين أيوب الذي حكم بين سنتي ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م، وكان المؤيد:"يكتب خطاً حسناً، وينظم وينثر بالعجمي والعربي، وكان قدومه في أيام الناصر صاحب الشام، فاستخدم في ديوان الإنشاء لأجل كتب التتار فإنها كانت في تلك الأيام ترد بعضها عجمي، فاستخدم لتعريبها وكتابة الأجوبة عنها"[3].

أما في العصر المملوكي الذي كان أكثر إيغالاً في العجمة؛ لغلبة العناصر المملوكية من تركية وجركسية ورومية ومغولية وفرنجية على الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحا،وقد وضح لنا

---

١ . انظر: العمري: التعريف بالمصطلح الشريف:١٥٥-١٥٨؛القلقشندي، صبح الأعشى:١١/٩٢-٩٣.

٢ . الصفدي، الوافي بالوفيات:١/١٣٣.

٣ .الصفدي، الوافي بالوفيات:ج٢٠، ورقة١٦٠ظ-١٦١و.

الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً،وقد وضح لنا القلقشندي- مؤرخ ديوان الإنشاء وكاتب أضخم وأجمع دستور له- ذلك قائلاً: "فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لا سيما إذا كان من غير جنسه، كما تميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجندها لمن يتكلم بالتركية: من العلماء والكتاب ومن في معناهم على ما هو معلوم مشاهد"(١).

وقول القلقشندي الآنف الذكر يفسر لنا كثرة التراجمة في الديوان من ناحية، وإقبال بعض كتاب السر على تعلم اللغة التركية أو غيرها من اللغات لما ذلك من أهمية في إدارة شؤون الدولة، وخير مثال على ذلك علاء الدين علي بن أحمد بن الأثير(ت٧٣٠/١٣٢٩م) وهو من أبناء أشهر العائلات الكتابية في العصر المملوكي، وكان علاء الدين مقرباً من الناصر محمد بن قلاوون حيث عهد له بصحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية سنة ٧١١هـ/١٣١١م، واستمر في منصبه حتى وفاته، وبلغ من المكانة والعظمة في الدولة المملوكية مبلغاً كبيراً حتى أصبح يقلد أمراء المماليك في أثناء أدائه لعمله في الديوان، وكان كما صوره الصفدي: " يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك، فيهم من هو بعشرة آلاف درهم وأكثر، وكان أخيراً يقف هؤلاء المماليك في خدمته بالديوان سماطين، ولا يتكلم إلا بالتركي، ومماليكه يُعرّبون كلامه للناس..... وأصل في الديوان كلماً كثيرة"(٢).

ولعل في قول الصفدي السالف" وأصل في الديوان كلماً كثيرة" ما يدل على أن علاء الدين بن الأثير قد أدخل كثيراً من المصطلحات والألفاظ والرسوم السائدة في دواوين المغول والترك والفرس، في مكاتبات ديوان الإنشاء المملوكي وبخاصة إذا عرفنا أنه كان يقرّب الأدباء والحكماء الوافدين على دولة المماليك من بلاد العجم، مثل عبد اللطيف العجمي (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م)الذي وصف بالفصاحة بالتركي والعجمي(٣).

ومن كتاب السر المجيدين للغة التركية أبو بكر بن محمد بن محمد المعروف بابن مزهر(ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م) الذي وصفه لنا عصريه السخاوي في أكثر من مصدر بأنه قد " جوّد اللسان الذي لا يستغنى عنه في مخاطبة الأتراك"(٤).

---

١ . القلقشندي، صبح الأعشى:١/١٦٦-١٦٧.

٢ . الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر:٢/١٥٦-١٥٧.

٣. انظر : المصدر السابق:٢/١١٧-١١٨.

٤ . السخاوي، الذيل على رفع الإصر: ٤٧٧؛الضوء اللامع:١١/٨٨.

والعـــبارة السابقة موحية لنا بأنه لم يقتصر على التعلم فحسب، بل وصف بالتجويد للغة التركية والبراعة فيها، الأمر الذي يفسر لنا الألقاب التي أطلقت علـــى كتاب السر مثل" لســـان الـــممالك" و"لسان مـــلوك الأمصار"، والمعنى كما فسره القلقشندي بأنه " يتكلم بلسان ملوك الممالك"[1] .

ويعـــدّ شـــيرزاد بـــن ممدود بن شيرزاد بن علي شرف الدين الرومي (ت٧٠٧هـــ/١٣٠٧م) مثالاً على التراجمة والكتاب الذين عملوا في دواوين الإنشاء العربية وغير العربية، فقد كان والده كما ذكر ابن حجر من بعلبك، ثـــم تحـــول إلى دمشق، وسمع بها من ابن عبد الدايم وحدث عنه: "ثم سافر إلـــى الروم صحبة الطواشي صواب الأوحدي، فأقام نحو عشر سنين وولي بهـــا الإنشـــاء، وترســـل إلى الملوك، ثم توجه في البحر إلى مصر، وتقرر تـــرجماناً للدولة للكتب التي تردّ من بلاد العجم في سلطنة قطز إلى أن مات في ثاني المحرم سنة٧٠٧/١٣٠٧ بالقاهرة"[2] .

فالـــنص الســـالف يكشـــف لنا عن مصدر تعلم شيرزاد بن ممدود للغة الرومـــية(التركـــية)، وإن تعيينـــه ترجماناً في الديوان بني على خبرة سابقة تمثلت في خدمته في أكثر من ديوان من دواوين الإنشاء في إمارات الأتراك بـــبلاد الأناضول التي كانت تعرف آنذاك ببلاد الروم أو البلاد الرومية، مما يجعـــل مـــن هذا الترجمان الكاتب خبيراً بأحوال تلك الإمارات حين الحاجة إلى مخاطبتهم من ديوان الإنشاء المملوكي.

وتمدنـــا المصادر بطائفة من أسماء الكتاب الذين عرفوا أكثر من لغة، وتكلمـــوا بعدة ألسنة كمحمد بن شريف بن يوسف الزرعي المولود بدمشق، والمـــتوفى في سنة (٧١١هـــ/١٣١١م)، الذي قال عنه المقريزي بأنه:" كان يكتـــب في التوقيع، وله معرفة بالإنشاء...ويعرف عدة لغات"[3] ، ووصف بأنـــه" تعـــانى الخط المنسوب، وسافر إلى بعلبك، وتعلم من ياقوت وغيره،

---

١ . القلقشندي، صبح الأعشى: ٦٨/٦.

٢ . ابن حجر، الدرر الكامنة:٢٩٤/٢-٢٩٥؛ وانظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه:٢٨٤/١.

٣ . المقريزي، السلوك، ج٢،ص١١٣؛ وانظر: الصفدي، أعيان العصر:٢١/٣.

وكـــان تـــام الشكل حسن البزّة، متأنقاً في أموره، يتكلم بعدة ألسن، واتصل بخدمـــة بيـــبرس الجاشنكير قبل السلطة، ثم أثابه الجاشنكير بإدخاله ديوان الإنشاء"[١] .

ويـــبدو أن دولـــة المماليك كانت جاذبة للكتاب والعلماء والحكماء، ومن هـــؤلاء الوافديـــن نظام الدين يحيى بن عبد الرحمن (ت٧٦١هـــ/١٣٥٩م) وكان كاتباً مجوداً وموسيقاراً بارعاً، قدم إلى دولة المماليك، وكان مقرباً من أمـــرائهم، ثم طلب العودة إلى بغداد، حيث قام بكتابة مراسلات حكام بغداد إلى المماليك، يقول الصفدي :" وكان (كذا) الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه، وكان والده النور حكيماً، يطب ملوك المغل وغيرهم، وكـــان نظـــام الدين يكتب المنسوب، ويضع الكوفي والمغلي على أحسن ما يكون"[٢].

ومـــن الـــتراجمة الذيـــن أســـندت إلـــيهم كتابة السر في دولة المماليك الجراكســـة بـــدر الدين محمود بن عبدالله الكُلستاني، وقد عُرف بالكُلستاني لكـــثرة قـــراءته لكتاب الشاعر العجمي السعدي المسمى بكُلستان التي تعني بالتركـــي حديقة الورد، وقد قدم من بغداد إلى دمشق، واتصل بنائبها الطنبغا الجوبانـــي، ثم وفد على مصر فَولي تدريس الشيخونية والصرغتمشية، وقد نُعت بأنه:" يتكلم بالعربي والفارسي والتركي وهو لسانه"[٣] .

أمـــا ســـبب تعيينه كاتباً للسر فإنه بينما كان السلطان المملوكي متوجهاً إلـــى حلب في سنة ٧٩٦هـــ/١٣٩٣م للقاء اللنك(تمرلنك أو تيمور لنك)ورد علـــيه "كـــتاب تمرلنك بعبارة تركية على منزلة الصالحية، فطلب من يكتب جوابـــه بالتركية، وذلك لعجز بدر الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف، فقـــيل له عن بدر الدين محمود السرامي"[٤] الذي قرأ الكتاب، وأجاد الإجابة

---

١. الصفدي، أعيان العصر:٣/٢١-٢٢.

٢. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر: ٣/٣٢١-٣٢٢.

٣. الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان:٢/٢١.

٤. المصدر السابق:٢/٢٣-٢٤.

علـــيه، فأمـــر السلطان برقوق أن يكون بصحبة الدوادار قَلَمْطاي، ثم توفى كاتب السر بدر الدين بن فضل الله العمري في السنة نفسها، فعين الكلستاني كاتباً للسر في الدولة المملوكية، واستمر الكلستاني كاتباً للسر حتى وفاته في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م [١].

ويُعـــد إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب القبطي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مـــن أشهر التراجمة في عصر المماليك الجراكسة، وأصله من أبناء الكتبة القـــبط بالاســـكندرية ، وجدّه غراب هو أول من أسلم من آبائه، واتهم بأنه ممـــن دلّ الفـــرنج على عورات المسلمين بالإسكندرية عندما قاموا بغارتهم المشـــهورة عليها في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م. وقد تعلّم إبراهيم "لسان الترك حتى حذق فيه"، وتولى عدة وظائف هامة في الدولة المملوكية أهمها: وظيفة ناظـــر الخاص التي يقوم صاحبها في التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ووظيفـــته ناظـــر الجيش، وكاتب السر، إلا أنه ترفّع عن وظيفه كاتب السر لمكانـــته عند السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين الدين فرج بن برقوق الذى حكم بن سنتي(٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥م)[٢].

أما أكثر التراجمة جولاناً في الآفاق، وطوافاً في الأرض، فهو أحمد بن محمـــد المعروف بابن عربشاه(ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م) الذي اقتاده تيمور لنك أسيراً من دمشق وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره تقريباً، وذلك في سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، فتعلم الفارسية والتركية وبرع فيهما، ودخل بلاد الخطا طلـــباً للعلـــم، وهو يفيض لنا في سيرته الذاتية في إجازته لتلميذه يوسف بن تغـــري بردي قائلاً:" واستفدت اللسان الفارسي والخط الموغولي وأتقنتهما، واجتمعـــت فـــي بلاد المغل بالشيخ برهان الدين الأنْدُكَاني والقاضي جلال الديـــن السّـــيرامي، وأخـــذت عنهما، وقرأت النحو على مولانا حاجي تلميذ السيد الشريف.

---

١ . انظر: ابن حجر، إنباء الغُمر بأنباء العمر:٢/٨٨-٩٠؛ السخاوي، الضوء اللامع:١٠/١٣٦-١٣٧؛ ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة :١٤/١٧٥.

٢. انظر: المقريزي، درر العقود الفريدة:١/١٠١-١١٤؛السخاوي، الضوء اللامع:١/٦٥-٦٧.

ثم توجهنا إلى خوازم فأخذت عن مولانا نور الله. ومولانا أحمد الواعظ السرائي بن شمس الأئمة، وكان يقال له ملك الكلام فارسياً وتركياً وعربياً، ثم توجهنا إلى بلاد الدشت وسراي ...واجتمعت في قيريم أيضاً بمولانا محمود البلغاري، ومولانا محمد اللبِ ابي، وعبد المجيد الشاعر الأديب صاحب قصة يوسف المسماة بمؤنس العشاق بالتركي وهي من أطراف ما صنّف.

ثم قطعت بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فأقمت بها نحواً من عشر سنين، فترجمت للملك غياث الدين أبي الفتح محمد بن أبي يزيد بن مراد بن أدرخان بن عثمان رحمه الله تعالى كتاب " جامع الحكايات ولامع الروايات" من الفارسي إلى التركي في نحو ست مجلدات، وتفسير الإمام أبي الليث السمرقندي وتعبير القادري بالتركي نظماً، ثم باشرت عنده الإنشاء، فكتبت عنه إلى ملوك الأطراف عربياً وفارسياً وتركياً"[1]

ويجعل ابن عربشاه وفاة السلطان ابن عثمان حدا فاصلاً لإقامته في بلاد الترك التي أقفل عنها متوجهاً إلى وطنه القديم الشام، فدخل حلب في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، ثم تحول عنها بعد أربعة أشهر إلى دمشق ثم أدى الحج، وسافر في سنة٨٤٠هـ/١٤٣٦م إلى القاهرة واتصل بالسلطان جقمق، واتخذ من عاصمة المماليك دار إقامة عاكفاً على الترجمة والتأليف حتى وافته المنية في سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م[2].

ومما يدل على أهمية معرفة اللغات لكاتب السر أنه نعت بـ"لسان ملوك الأمصار" و"لسان الممالك" أي أنه يتكلم بلسان ملوك الممالك كما يقول القلقشندي[3]، ويعضد ذلك أن واحداً من كتاب السر بالقاهرة ثم دمشق وهو شهاب الدين أحمد بن يحيي العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) قد أبدى ملاحظات لغوية عن اللغتين التركية والمغولية ربما دلت على معرفته بهاتين اللغتين[4].

---

١ . ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٢/١٤١-١٤٣.

٢ . انظر: المصدر السابق: ٢/١٤١-١٤٤؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: القسم السادس (١٠-١١)،ص١٠٤.

٣ . القلقشندي، صبح الأعشى:٦/٦٨.

٤ . انظر: العمري، مسالك الأبصار:٣/ ٥٧، ٨١، ٩٧، ٩٩.

وعـــلاوة علـــى ذلك فإن معرفة اللغات الأعجمية لم تقتصر على كتاب ديـــوان الإنشـــاء، بل نجد أن بعضاً من الكَتبة في الدواوين الأخرى حذقوا اللغـــة التركية، فسليمان بن إبراهيم(ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م) وصف بأنه:" يتكلم فصيحاً باللغة التركية"[١].

- **المهمندارية:**

وهـــم" جمـــع مَهمندار، وهو فارسي معرب وأصله مَهمن ومعناه الضيف، والثاني دار ومعناه ممسك الضيف"[٢] كما يقول الخالدي العمري، أما السُبكي فقد عـــرّف المَهْمَـــندار بأنـــه:"اسم لمن يقوم بأمور قُصّاد الملوك ورسلهم"[٣]، وأما القلقشندي فإنه جعل المهمندارية من وظائف أرباب السيوف، ويقوم صاحب هذه الوظيفة بتلقي الرسل الواردين وأمراء العُربان وغيرهم[٤].

ويكـــون المهمندار تابعاً لكاتم السر أي صاحب ديوان الإنشاء، ويشترط فيه أن يكون: "عاقلاً ذكياً يقظاً فطناً أميناً ناهضاً فصيحاً في اللغتين"[٥].

ويبدو لنا أن مهمة المهمندار ومساعديه كانت على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنـــه أول رجال الدولة الذين يستقبلون القُصاد والرسل ويقومون بأمر ضيافتهم، ويـــتكلمون معهم بألسنتهم ولغاتهم، وينزلونهم في أماكن إقامتهم اللائقة بهم، ومن ثَمّ فإن المهمندار يترك الانطباعات الأولية في نفوس الرسل عن الدولة المضيفة لهـــم، ولذلـــك فـــإن السُبكي في كتابه "معيد النعم" الذي يُعد من كتب الإصلاح السياســـي والإداري فـــي الدولـــة المملوكية اشتراط على المهمندار:" أن يعتمد مصـــلحة الإسلام، ويُرهب القُصاد، ويوهمهم قوة المسلمين وشدة بأسهم، وعظيم

---

١. ابن تغري بردي، المنهل الصافي:١٧/٥.

٢. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشا: ورقة ١٠٣و.

٣ . السُبكي، معيد النعم ومبيد النقم:٣١.

٤ . القلقشندي، صبح الأعشى:٢٢/٤.

٥ . الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشا: ورقة ١٠٣و.

سـطوتهم، واتفـاق كلمـتهم، وقـيامهم في حَوزة الدين وذَبّهم عن حريم الملة الإسـلامية وحفظ النظام، وأن يُنهي لأمور القُصاد إلى الملك بمقدار ما يكون فيه المصلحة، ورُبّ من يتعين عليه المبادرة إلى إكرامه، ومن يتعين عليه الكف عن إعظامه، بحسب ما تقتضيه الحال[١].

ومـن مهـام المهمـندار أن يتعرف على سبب مجيء الرسل وقصدهم من سـفاراتهم، ويقوم بإبلاغ كاتب السر بذلك، ثم يقوم بإحضارهم بين يدي السلطان للاطـلاع على رسالتهم وغرض قدومهم[٢]، ثم هو ملزم" بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد"[٣].

ويفهم مما أوردته المصادر بشأن المهمندار ومساعديه بأنهم يقومون بالترجمة الشفوية التي يقصد منها معرفة غايات القُصاد من زيارتهم لبلاط الدولة المملوكية، ثم تنظيم مراسيم إقامتهم واستقبالهم وسفرهم.

- **أمراء المماليك:**

يرجع المماليك في نشأة دولتهم إلى أيام الأيوبيين، وعلى وجه الخصوص أيام الصالح نجم الدين أيوب الذي حكم من (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٣٩-١٢٤٩م)، فقد أكثر نجـم الديـن مـن استجلاب المماليك الأتراك وكون منهم فرقة في جيشه تعرف بالممالـيك البحرية[٤] الذين كانوا نواة الجيش المملوكي فيما بعد، ومعظم المماليك الأتـراك مـن قبـيلة القَبجاق وهي إحدى القبائل التركية التي تسكن منطقة آسيا الوسطى حول بحر قزوين[٥].

---

١. السبكي، معيد النعم ومبيد النقم:٣١-٣٢.

٢. انظر: . De. Jean. Thenaud , Le Voyage D'Outremer (Paris, 1884), P. 180, 190-191.

٣. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ:١٠٣ظ.

٤. ابن واصل، مفرج الكروب: ٥/٢٧٤-٢٧٥، ٢٧٨.

٥. انظر: العيني، السيف المهند:١٩-٢٠؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك:١/١٠١.

وعـــلاوة على الجنس التركي فإن الجركس[1]هم العنصر الثاني في الجيش المملوكي إضافة إلى ما ضم إلى هذا الجيش من تتار[2]، وروم جاءوا من أصول تركية وأوروبية[3].

وبـــناء علـــى ما تقدم فإن هؤلاء المماليك ينتمون إلى جنسيات متعددة ذات لغات مختلفة، نقلوها معهم إلى موطنهم الجديد الذي تم تعريبهم فيه.

وتمدنـــا كتب تراجم العصر المملوكي وتواريخه وحولياته بأسماء عدد كبير مـــن المماليك ثنائيي اللغة، ولا غرو في ذلك فإن بعضهم جاء إلى دولة المماليك طلباً للحماية، وفراراً من تسلط التتار ووحشيتهم في التعامل مع الناس[4].

فأيـــاز بن عبدالله الصالحي(ت٦٨٧هـــ/١٢٨٨م)أحد حجاب الظاهر بيبرس كـــان واحداً من التراجمة الذين يثق بهم بيبرس ويعتمد عليهم، وقد أرسله بيبرس ســـفيراً إلـــى أبغا بن هولاكو في سنة ٦٧٠هـــ/١٢٧١م، وذكر ابن الفرات في ترجمـــته:" وترســـل عنه إلى أبغا ملك التتار وإلى غيره... وكانت الملوك تعتمد عليه في المهمات الجليلة"[5].

ولا ويمكـــن أن يفهم من عبارة: "وترسل عنه" أنه كتب إليه بالعربية؛ لأن كبار الكتاب العرب في ديوان الإنشاء كانوا يضطلعون بذلك.

ويمكـــن الاســـتدلال مـــن تـــرجمة أقطاي فارس الدين الصالحي المعروف بالمســـتعرب (ت٦٧٢هـــ/١٢٧٣م)، وهـــو من كبار الأمراء في دولة الظاهر بيـــبرس، بأنـــه كـــان عارفـــاً باللسان الإفرنجي وذلك لقيامه بمهمة السفارة بين

---

١. سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك:٢٢٣.

٢. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر:١٠٥-١٠٦، ١٣٧، ١٣٨.

٣. ابن إياس، بدائع الزهور:٢- ٣٠٤، ٣٦٤، ٤١٦.

٤. انظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه :١/٨٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار:٢/٢٢.

٥. ابن الفرات، تاريخ:٨:٧٤؛ وانظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر:٣٤.

السلطان المنصور علي(حكم من سنة ٦٥٥-٦٥٧هـ/١٢٥٧-١٢٥٩م) وبين الفرنج وذلك عندما رأى منه المعز:"ذكاءً وفطنة ورأياً سديداً، فندبه إلى مواصلة الفرنج فسعى [بينهم] وبين الملك المعز إلى أن أصلح له الفرنج، وأطلق جماعة من أسر الفرنج بسفارته، وكذلك من المسلمين"[١].

ومن هؤلاء الذين جمعوا بين العربية والمغولية قبجق المنصوري الذي كان نائباً للشام، وهو من الفرسان المعروفين بالبأس والشدة، حكى عنه صلاح الدين الصفدي قائلاً: " ويجيد الكلام والخط باللغة المغولية، وحكى لوالدي عن نفسه أنه كان كاتباً لحسن تقو أحد نوينات المغول، وأن أباه كان رأساً من رؤوس الكتابة بالمغولية، مجيداً في الترسل فيها، وقال له: مثل ما عندكم كلام جيد وكلام ردئ هكذا عندنا"[٢].

ومن الأمراء التراجمة أوتامش الأشرفي[٣](ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، ويُذكر في بعض المصادر بلفظة أيتمش[٤]، وكان في الأصل مملوكاً للسلطان الأشراف صلاح خليل بن قلاوون (ت٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، ثم ولاه الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) نيابة الكرك، وكان مقربا من الناصر الذي أرسله غير مرة سفيراً للقان بوسعيد ملك التتار الإلخانيين في العراق وفارس، ووصف بأنه: " يعرف بالمغلي لساناً وكتابه، ويدرب آداب المغل، ويحكم في بيت السلطان بالياسة واليسق الذي قرره جنكزخان، ويطالعها ويراجعها، ويعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم، ويستحضر تواريخهم ووقائعهم، وكان إذا جاء من تلك البلاد كتاب إلى السلطان بالمغلي يكتب هو الجواب عنه"[٥].

وفي مقاله كاشفة للمستشرق ليتل Little يتبين لنا الدور الدبلوماسي الكبير الذي أداه هذا الترجمان في توطيد العلاقات، وحل الخلافات القائمة بين السلطان

---

١. ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر:١١٢-١١٣.

٢. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٧٨/٢٤.

٣. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر:٢٠٩/١.

٤. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:٤٥٣/١.

٥. الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر:٢٠٩/١.

الناصـــر محمد، وبين ملك الإلخانيين بوسعيد، وذلك في ثلاث رحلات سفارية قام بها في السنوات: ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م، وذلك لما تمتع به من معرفة تامة باللغة المغولية، وبما له من مؤهلات شخصية مكّنته من أداء هذه السفارات الناجحة[١].

ومـــن الـــتراجمة الأمراء: الأمير ظهر بغا أو ظهير بغا المغلي أو طاير بغا (ت٧٣٨هـــ/١٣٣٧م) وكـــان بُغـــا قـــد حضـــر إلـــى دولـــة المماليك في سنة (٧٢٦هـــ/١٣٢٥م)، في عهد الناصرمحمد بن قلاوون الذي قرّب بغا وجعله أميراً، وكان يقرأ على السلطان كتب بوسعيد التي ترد بالمغلي ويكتب الأجوبة، وكان يفد علـــيه من أقاربه على مدى الأيام من عشرة إلى مائة فيبرهم، ويصلهم، فمنهم من يقيم بالقاهرة، ومنهم من يرجع[٢].

ويـــبدو من المعلومات المتوافرة لدينا أن بعضاً من أمراء المماليك كان يعرف أكثر من لسان، فبلبان الرومي كان يترسل عن السلطان إلى أكثر من دولة[٣].

والأمـــير منكلي بغا الصلاحي الحاجب كان يكتب خطاً حسناً ويتكلم بالعجمية والتركـــية الخالصة[٤]، وأياز بن عبدالله كا ن يترسل عن السلطان إلى ملوك التتار وملـــوك الإفـــرنج[٥] ، ومَنكلـــي بُغـــا الصـــلاحي الظاهـــري المعروف بالعجمي (ت٨٣٦هـــ/١٤٣٢م)، أرسل سفيراً إلى تيمورلنك خلال حكم الناصر فرج، وكان فقهـــياً، :" ويذاكـــر بالشعر باللغات الثلاث: العربية والعجمية والتركية، ويكتب

---

١. Donald p. Little, " Notes On Aitamis a Mongol Mamluk" , Die Islamichen Welt Zwischen Mittelalter und Neuzeit , Feutschrift fur , Hans Robert Roemer zum 65. Geburtstag, ed . Ulrich Haarmann & Peter Bachmann, (Beirutre Texte und Studien, 22). Wiesbaden : Franz Steiner Verlage, 1979,PP.387-401.

٢. انظر: الصفدي، أعيان العصر:٢/٢٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة:٢/٣٣٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ٢/٢٩٣.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات:٢٤/٣٩١.

٤. العيني، عقد الجمان:٤٣٨.

٥. ابن تغري بردي، المنهل الصافي:٣/١٢١-١٢٢.

الخـــط المنســـوب" [1] ، فإرساله سفيراً وإنشاده للشعر باللغات: العربية والعجمية والتركية، دليل على تمكن هذا الأمير من هذه اللغات.

وعـــندما أصدر السلطان قانصوه الغوري بتاريخ ٩١٥هـ/١٥٠٩م مرسوماً يمـــنح فـــيه امتيازات تجارية لطائفة الفرنتيين (الفلورنسيين)، ذكر فيه أحد كبار المترجمين في نهاية العصر المملوك وهو الأمير تغري بردي الترجمان، ونص الوثـــيقة :".... وبرز أمرنا الشريف بكتب أمان شريف للقنصل والتجار وما سأل فـــيه حضـــرة الملـــك وجهز ذلك إليه، ورسمنا للمجلس العالي الأميري الكبري المجاهدي المؤيدي الذخري النصري الأوحدي الأكملي الأعزي الأحضي السيفي عمـــدة الملـــوك والســـلاطين تغري بردي أحد أعيان الأمراء العشرات بالديار المصـــرية، والـــترجمان بأبوابنا الشريفة-أدام الله سعده- بأن يكتب إلى حضرة الملك بما فيه إطابة خواطر التجار بما سيعلم حضرة الملك بأمر تجاره وجماعته بالحضور إلى ثغر الإسكندرية المحروس..."[2].

ويـــبدو أن تغري بردي الترجمان واظب على القيام بواجباته ومهامه الكبيرة والخطـــيرة[3] إلـــى أن قـــبض علـــيه الســـلطان فـــي شـــهر محـــرم من سنة ٩١٧هـــ/١٥١١م،مـــتهماً إيـــاه بمخاطبة ملوك الإفرنج واطلاعهم على بعض أســـرار الدولة، فبقيت وظيفة ترجمان الإفرنج خالية قرابة ثلاث سنوات، ثم عين أحـــد المماليك ترجماناً ويدعى يونس الترجمان الذي كان نائباً لتغري بردي في محرم من سنة ٩٢٠هـــ/١٥١٤م [4].

ومـــمـــا يـــدل علـــى كثرة المماليك الذين يجيدون اللغات الأعجمية وبخاصة التركـــية والمُغْلـــيّة ما ذكر القلقشندي عن ترجمة كتب بعض القانات من ملوك الشـــرق:" يـــتولى ترجمـــتها مـــن يُوثَق به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو

---

١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:١٥/١٧٩.

٢. M. Amari, I diplomi Arabi del R Archivio Fiorention. (Firenze, 1863), P. 224.

٣. انظر: Thenaud, Le Voyage Doutremer P. XLVI .

٤. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور:٤/٢١٠، ٣٦١-٢٦٢.

الخاصـــكية ونحوهـــم، ممن يعرف ذلك اللسان، ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به"[1].

ويـــروي لنا اليوسفي خبراً عن أحد مماليك الأمير برصبغا أو برسبغا الحاجب الناصـــري (ت٧٤٢هـــ/١٣٤١م) عند حديثه عن قتل أحد أمراء المغول في حمى الدولـــة المملوكـــية فـــي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٢م، فيقول:" وبلغني من بعض مماليك برصبغا، كان يعرف بلسان المغل، أنهم لما وقع بينهم وبين برصبغا المفاوضة قال لهم الرجل أمير ركب العراق بلسان المغل..."[2].

- **العلماء والأدباء:**

أدي العلمـــاء دوراً مهمـــاً إبان العصر المملوكي، وقد تجلى ذلك الدور في تعلـــيم الناس، وفي الوقوف في وجه الظلم، وفي شحذ همم الأمة ونفوسها؛ لتقف صـــخرة قويـــة فـــي وجه ما يتهددها من أخطار عظيمة تجلت في سيول التتار الجارفـــة التـــي لا تـــنقطع، وفـــي غارات الصليبيين وحملاتهم المتواصلة على الســـواحل الشامية والمصرية، وسواحل الجزيرة العربية في أخريات أيام الدولة المملوكية.

وكانـــت الـــترجمة مـــن اللغات الأعجمية إلى العربية، أو من العربية إلى اللغـــات الأعجمـــية مما اضطلع به نفر من علماء ذلك العصر سواء أكانوا من الفقهاء أم المتصوفة أم المؤرخين أم الحكماء والفلاسفة، مقدمين خبراتهم العلمية والمعرفية سائغة لديوان الإنشاء المركزي في القاهرة، أو للدواوين الفرعية التي نســـجت على غراره في النيابات الأخرى كدمشق وحلب وطرابلس وصفد وغزة والكرك.

---

١. القلقشندي، صبح الأعشى:٦/٢١٦.

٢. اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر:١٧٥.

ومـــن الفقهـــاء المترجمين: فخر الدين محمد بن مصطفى بن زكريا بن خوجا المولـــود بـــدورك بـــبلاد الـــروم ســـنة ٦٣١هـــ/١٢٣٣م، والمـــتوفى ســـنة ٧١٣هـــ/١٣١٣م، ويروي صلاح الدين الصفدي عن شيخه أبي حيان الأندلسي (ت٧٢٥هـــ/١٣٢٤م) سيرة هذا الترجمان، قائلاً:" كان شيخاً فاضلاً عنده أدب وـــله نظـــم ونثر وقد نظم " القدوري في الفقه " نظماً فصيحاً سهلاً جامعاً، ونظم قصـــيدة فـــي النحو تضمنّت أكثر " الحاجبية "، وفخر الدين هذا كتبنا عنه لسان الـــترك ولسان الفرس، وكان عالماً باللسانين يعرفهما إفراداً وتركيباً أعانه على ذلـــك مشاركته في علم العربية، وله قصائد كثيرة منها " قصيدة في قواعد لسان الـــترك " ونظم كثير في غير فن. ودرس بالحسامية الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكـــان قديماً قد تولّى الحسبة بغزة وكان بارع الخط... وقد أدّب بقلعة الجبل بعض أولاد الملـــوك"[1]. وما رواه لنا الصفدي عن أبي حيان الأندلسي في غاية الأهمية؛ لأنـــه يكشف لنا عن المصدر الأساسي الذي استقى منه أبو حيان مادته في معجمه الموســـوم بـــــ " الإدراك إلى لسان الأتراك " من ناحية، ويكشف لنا عن شخصية عالم مترجم مختص باللغات: العربية والفارسية والتركية من ناحية أخرى.

ومـــن الأدبـــاء الـــتراجمة: عـــبد اللطـــيف بـــن خلـــيفة العجمـــي (ت٧٣١هـــ/١٣٣٠م)، وكان أخوه كحال غازان ملك التتار، هاجر إلى الدولة المملوكـــة، إلا أننا لم نستطع تحديد تاريخ وفوده عليها، وصف بأنه "كان أديباً فاضلاً لبيباً عاقلاً على ذهنه غوامض من العربية... يترسل بغير سجع... وخطة قوى إلى الغاية من تعليق العجم... يتحدث بالتركي العجمي فصيحاً"[2].

وكان العجمي متصلاً بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وبغيره من كبار الأمراء، وجعل له راتب في جملة المماليك السلطانية، وعرف بأنه كان خبيراً بأخلاق الملوك ومخاطباتهم وسياساتهم، وعارفاً بأخبار وقائع المغول،

---

١. الصفدي، الوافي بالوفيات:٥/٣١؛ وانظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:٥/٢٨؛ السيوطي، بغية الوعاة:١/٢٤٦-٢٤٧.

٢. الصفدي، أعيان العصر:٢/١١٧-١١٨.

ومستحضراً لكلام الحكماء، وقد قربّه القاضي علاء الدين بن الأثير كاتب السر وكانت له به خصوصية[1]، ويبدو أن السبب في ذلك هو الانتفاع بمعرفته للغتين التركية والفارسية.

أما المترجمون من المتصوفة، فإن علي بن محمود بن حمد القونوي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) خير من يمثل هذا النوع من المترجمين، فقد كان القونوي مدرساً بدمشق في المدرسة القلجية التي أقرى الطلبة فيها منهاج البيضاوي، والحاوي الصغير، ومختصر ابن الحاجب، ثم تولى مشيخة الشيوخ فيها بدلاً من قاضي القضاه شرف الدين المالكي بحكم وفاته، وفوق هذا فإنه عُرف بورعه وتديّنه وتواضعه[2].

أما صلته ودوره في ديوان الإنشاء، فإن إقامته بدمشق قد جعلت منه قريباً من ديوان إنشائها الذي كان يلي في أهميته ديوان القاهرة، ولذلك فإن الصفدي يصفه مرة بأنه:" كان يُعرّب الكتب الواردة على ديوان الإنشاء باللغة العجمية"[3] وينعته مرة أخرى بأنه: " كان يُعرّب لديوان الإنشاء الكتب التي ترد عليه بالعجمية من البلاد الشرقية"[4].

ومعلوم لدينا بأن الصفدي قد ألّف كتابه "الوافي بالوفيات" الذي هو مصدرنا في قوله الأول قبل كتابه "أعيان العصر" الذي اشتمل على عبارته الثانية، الأمر الذي يوحي بأن الصفدي أراد بالزيادة الواردة في قوله: الثاني إزالة ما اعترى عبارته الأولى من لبس وغموض في قوله: " اللغة العجمية " التي لا يدري ما هي، هل هي اللغة الفارسية أو المغولية.

ومن العلماء المترجمين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الذي كان بارعاً في علوم الأوائل والعقليات والشرعيات، وقد ورد على دمشق سنة٧٢٥هـ/١٣٢٤م بعد أدائه لفريضة الحج وزيارته للقدس

---

١. الصفدي، المصدر السابق:٢/١١٧-١١٩.

٢. الصفدي، المصدر السابق:٢/٢٥٧.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات:٢٢/١٨٩.

٤. الصفدي، أعيان العصر:٢/٢٥٧.

الشريف، وسمع منه ابن تيمية، وقال في حقه:" اسكتوا حتى يسمع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثله"[1]، ثم طلبه السلطان محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م وقرّبه، وكان: " ما يعرف اللغة التركية فقعد به ذلك، إلا أنه راج باللغة العجمية عند الأمير سيف الدين قوصون"[2].

ويورد لنا بدر الدين العيني في حولياته خبراً بخصوص أحد المتصوفة العجم وهو نصر الله بن عبد الله بن إسماعيل العجمي (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) الذي طاف بلاداً كثيرة، ثم قدم إلى مصر، فعرض السلطان عليه كتابه السر ولكنه أبى ذلك[3].

وخبر العيني المتقدم يدل بجلاء على أن معرفة هذا المتصوف للغة أعجمية أو أكثر هي التي أهلته لمنصب خطير كمنصب كاتب السر من جانب، وتدل على تراجع في مصطلح ديوان الإنشاء الذي يقصر هذه الوظيفة على بلغاء الكتاب وكبرائهم من العرب من جانب آخر.

أما الفلاسفة والحكماء الذين نمت الترجمة وترعرعت في رحابهم، ونهضوا بأعبائها، وخاضوا عبابها في العصر العباسي كحنين بن إسحاق وحبيش الأعسم وقسطا بن لوقا وغيرهم فإن العناية باللغات الأعجمية كانت من شأنهم وديدنهم[4].

وخير من يمثل الحكماء التراجمة في العصر المملوكي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الأكفاني(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي ولد بسنجار ونشأ بها، ثم هاجر إلى مصر وتوفى فيها، وقد برع في الطب والهندسة، والحساب والمنطق والفلسفة، علاوة على الأدب والتاريخ، وحفظ أشعار العرب من جاهليين ومولدين ومحدثين ومتأخرين[5].

ويبدو أن نشأته وذكاءه، وسعة دائرة اهتماماته، قد مكّنته من اكتساب أكثر من لغة وبخاصة المغولية والفارسية، ويتضح ذلك من خلال رواية فتح الدين بن سيد الناس اليعمري (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م) المهاجر الأندلسي إلى مصر، والتي أوردها الصفدي:"... وأما أحوال الشرق ومتجدّدات التتار في بلادهم في أوقاتها

---

١. الصفدي، أعيان العصر:٣/٢٦٢.

٢. المصدر السابق:٣/٢٦٣.

٣. العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان(تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط):٣٨٥-٣٨٧.

٤. انظر: سمير الدروبي:"منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي"، مجلة ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي، ع١م ص٥١-٩٣، ١٩٩٩م.

٥. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢/٢٥-٢٦.

فكأنما كانت القُصاد تجيء إليه، والملطفات تتلى عليه بحيث أنني كنت أسمع منه ما لم أطلع عليه من الديوان"[1].

- **الأسرى:**

لم تهدأ الحرب بين المسلمين والفرنجة حتى بعد طردهم على أيدي المماليك من الساحل الشامي في نهاية القرن السابع الهجري، بل استمرت غاراتهم على الشواطئ المصرية والشامية، وغزاهم المماليك في مواقعهم الجديدة كقبرص ورودس وغيرها، وفي أثناء ذلك وقع بأيدي المسلمين أسرى كثيرون. ومن هذا النوع من التراجمة الأسرى: ابن تغري بردي الذي روى قصة أسره واعتناقه الإسلام لبدروا مارتيرد انجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا في سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م.

فيذكر لنا انجلاريا: أنه عندما وصل إلى القاهرة استقبله الترجمان، فسأل انجلاريا ابن تغري بردي الترجمان عن اسمه، والبلد التي أتى منها، وكيف صار إلى ما هو عليه؟ فقال له الترجمان:" إنه ابن رجل من بلنسية يسمى لويس دبرات Luis de Prate، وإنه ولد في قرية مجاورة لبلنسية تسمى مونبلانش Monblanch ، وعندما شب عمل بحاراً، فأرادت المقادير أن تلقى سفينته، عاصفة هوجاء على مقربة من الساحل المصري، وتحطمت السفينة وألقت الأمواج بركابها على الشاطئ، فأخذه الناس فيما أخذوه إلى السلطان؛ لأن عُرف البلاد يقضي بأن حطام السفن الغارقة أو الجانحة وكل ما فيها يعتبر ملكاً للسلطان ويساق إليه، إلا إذا كانت السفينة لتجار معروفين، أو ثبت أنها لتجار يحملون صكّ أمان.

---

١. المصدر السابق:٢/٢٦.

وقـد قـال هذا الرجل: إنهم سجنوه وعذبوه ثلاث سنوات حتى اضطر إلى اعتناق الإسلام بلسانه خلاصاً لنفسه، وأما قلبه فظل مسيحياً مخلصاً. وقد ختنوه على كبر، واختار هو من الأسماء الإسلامية -في رأية-تغري بردي"[1].

ومن الأسرى الذين عملوا تراجمة بلبان الجنوي الذي يمكننا أن نعرف عنه وعـن دوره فـي الـترجمة من خلال ما ذكره لنا أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي كان نائباً لوالده رئيس ديوان الإنشاء في أيام الناصـر محمـد بـن قـلاوون، ولكن أحمد العمري اختلف مع السلطان فأودع السـجن، ويذكـر أنـه تعـرّف في السجن على بلبان الجنوي الذي أمدّه بأوثق المعلومـات عـن الإمارات التركية الإسلامية في بلاد الأناضول، وعن الممالك الرومية (اليونانية) مثل القسطنطينية وطرابزون.

وحكى لنا العمري قصة الترجمان بلبان الجنوي قائلاً: "بلبان الجنوي عتيق الأمير الكبير بهادر المعزي، وهو ممن له الخبرة التامة بما يحكيه، وهو الذي أفاد كيفية تصوير هذه البلاد، واسم هذا بلبان في بلاده دومانوكين دوريّا بن بادا دوريّا، وهو من بيت حكم في جنوة، اتفق أنه جمعت بيني وبينه المقادير في الاعتقال وعنه أخذت ما قال"[2].

والناظر في مسالك الأبصار يجد أن هذا الترجمان قد أمدّ العمري بمعلومات وافرة وقيمة تتعلق بـ: حدود وعملة واقتصاد وسكان وجيوش وأمراء وجغرافية جمـيع الإمارات التركية الواقعة في آسيا الصغرى والتي كانت تربطها علاقات وديـة مـع الممالـيك، ومـن هـذه الإمارات التي عرفها بلبان وتحدث عنها: كصـطمونية وقاويـا وبرسـا واكـيرا ونيف ومغنيسيا ومرمرا وبركي وفوكه، وانطاليا وقراصار وأرمناك وكرمينان وطنغزلو وتوزا وعميدلي[3].

---

١. حسين مؤنس،"سفارة بدرو مارتيرد أنجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين إلى السلطان الغوري (ديسمبر ١٥٠١-فبراير١٥٠٢)"، ضمن: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس-إبريل ١٩٦٩: ١/٤٦٠-٤٦١.

٢. العمري، مسالك الأبصار،٣/١٦٤.

٣. المصدر السابق:٣/١٥٤-١٧٩ وانظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٥١-٥٥.

وفـــوق ذلك فإن هذا الترجمان المدعو ببلبان الجنوي كان المصدر الأساسي الـــذي استقى منه العمري مادة رسالته الموسومة بـــ" ممالك عباد الصليب" وهي رســـالة طـــريفة عـــن المماليك الأوروبية، ونظام الحكم فيها، وملوكها وأرضها وسكانها ونظمها الإدارية وجيوشها ومناخها... الخ.

- **التجار الأوروبيون من بنادقة وجنويين وفلورنسيين وإسبان ومسلمين وغيرهم:**

عمـــل ســـلاطين المماليـــك على استجلاب التجار من كل الملل والأجناس تنشـــيطاً لحـــركة التجارة التي أصبحت مصدراً هاماً من مصادر خزينتهم، ولذا فإنـــه من الطبيعي وجود أعداد كبيرة من الأجانب في أكثر الحواضر المملوكية كالقاهـــرة ودمشـــق والقدس، والإسكندرية وحلب وبيروت وعكا ويافا وطرابلس وعجلون وعمّان وغيرها من المدن.

فقـــد لاحظ الرحالة الأوروبي اليهودي عوبديا:" أن المرء يقابل في القاهرة أعـــداداً لا تحصى من الأجانب من كلّ أمة، ويتحدثون بكل لسان"[1]، وبدهي أن بعضـــهم قـــد تعلم العربية نتيجة لمخالطته أهلها وإقامته الطويلة بين ظهرانيهم، عـــلاوة على أن بعض العائلات الإيطالية قد تخصصت في التجارة مع المشرق، مـــنها: بيـــت الإخـــوة موروسيني Morosini الذين ذاع صيتهم في القرن الرابع عشـــر الميلادي/ الثامـــن الهجري، وكانوا يتجرون في بلاد الشرق وبخاصة في حلـــب، وكان لهم فرع هام يقيم في دمشق وبيروت[2]، كما أن بعضاً من الأسر البندقـــية اتخـــذت دمشـــق مركزاً لأعمالها التجارية مثل: أسرة كويريفي وأسرة باباريجو وأسرة واستورلادو[3].

---

١. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر:٦٧.

٢. ديل، البندقية:٦٥.

٣. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى:٣/٣٣٨.

ومـــن الإشارات الواضحة التي تدل على معرفة تجار الفرنج للّغة العربية، واســـتخدام الدولـــة المملوكـــية لهـــم أحياناً تراجمة يقومون بمهام دبلوماسية أو يترجمون بعض النصوص، أن السلطان المملوكي قام باعتقال جميع الفرنجة في دولـــته بعـــد غـــارة ملـــك قبرس وأعوانه من الفرنج على الإسكندرية في سنة ٧٦٧هـــ/١٣٦٥م، وبقي تجار الفرنجة في الأسر حتى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م حـــتى قدمت سفن الفرنج للإسكندرية طلباً لافتكاكهم:" فلما سمعت أسارى الفرنج بقدومهـــم اســـتغاثوا، فسمع السلطان استغاثتهم، فسئلوا عن ذلك، فقالوا: نريد أن يســـافر مـــنا اثنان إلى أرض الفرنج، يكلمون الباب* والملوك في إيقاع الصلح، والطاعـــة لمولانـــا السلطان، ونعد مولانا السلطان بأن كلبين منا قد هلكا إذا لم يرجعا، فرسم السلطان بذلك، فأرسلوا أرناط بن مرك البندقي وآخر معه"[١]. وقد غـــاب الـــتاجران نحواً من عشرة أشهر، وعادا بصحبة رسل البنادقة والجنوية والروادســـة والقبارسة، ثم جرت مفاوضات الصلح بين الطرفين سوى القبارسة والروادســـة. ويـــرى جروســـيه أن بعضاً من البنادقة الذين أتقنوا العربية كانوا يعملون تراجمة في مفاوضات المعاهدات التجارية بين المماليك والبنادقة[٢].

ومن التجار التراجمة الذين تحدثت عنهم المصادر التاجر الإيطالي برتراندو دي ميجنانللـــي الـــذي ولد في إيطاليا سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، في أسرة من طبقة النـــبلاء، ثـــم غـــادر إيطاليا متجولاً في بلاد الشرق إلى أن استقر به المقام في دمشـــق التـــي أصـــبح بها من رجال المال والأعمال، وكما قال هو عن نفسه: وجـــدت هـــناك الثروة الوفيرة والشرف العظيم، لكن ذلك كان يقابله الكثير من الجهد والمخاطر الجمة.

وقـــد تعلـــم دي ميجنانللي خلال إقامته في دمشق اللغة العربية، وتمكّن من العمـــل بالـــترجمة الـــتحريرية والشـــفوية للســـلطان المملوكي الظاهر برقوق

---

* المقصود به " البابا "

١. النويري، الإلمام:٦/٤٠٤-٤٠٥.

٢. عفاف السيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب:٢٥٢.

(ت٨٠١هـ/١٣٩٨م) وذلك عند وصول يعقوب دي كروز Jacob de Croze سفيراً لدوق ميلان جيوفاني جاليزو Giovanni Galeazo .

وكان السفير قد حمل رسالة من الدوق يطلب بمقتضاها الإذن من السلطان برقوق لإصلاح الباسيليكا في بيت لحم بفلسطين، كما يطلب حماية الآباء في جبل صهيون.

وقد ترجم دي ميجناللي خطابات الدوق إلى اللغة العربية ورد السلطان عليها إلى اللغة اللاتينية[١].

وعلاوة على ذلك فإن بعضاً من كبار التجار الأعاجم قد قاموا بمهام السفارة بين دولة المماليك وغيرها من الدول، وقد أطلق عليهم اسم " الخواجكية "[٢] وواحدهم " الخواجا " الذي كان من ألقابه في ديوان الإنشاء: " السَّفِيريّ" الذي يفسره القلقشندي بقوله: " لسفارتهم بين الملوك وترددهم في الممالك لجلب المماليك والجواري ونحو ذلك، وهو منسوب إلى السفير: وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبة مبالغة، ولم يستعمله الكتاب مجرداً عن الياء "[٣]

ولا يخفى أن من يقوم بمهمام السفارة بين الملوك لابد له من معرفة لغة البلاد المرسل إليها، لما تحتاج إليه الدبلوماسية الناجحة من قدرة على أداء الرسالة، توسلاً لتحقيق الغرض المرجو منها، ولذلك خصّ السفراء والخواجكية بلقب:"ثقة الدول"[٤].

---

١. أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع ترجمة مقال الكاتب اللاتيني دي ميجناللي عن حياة تيمور لنك: القسم الثاني:٣.

٢. يقول القلقشندي، صبح الأعشى:٦/١٣:" الخواجا من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد، والخواجكيُّ بزيادة كاف نسبة إلية للمبالغة، كأن الكاف تدخل في لغتهم مع ياء النسب" .

٣. المصدر السابق:٦/١٥.

٤. المصدر السابق:٦/٤٢.

- **القناصل:**

لقد كان من النتائج الإيجابية لحركة التجارة النشطة بين دولة المماليك وجنوة والبندقية وفلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية والممالك الأوروبية وجود عدد من القناصل الذين يرعون المصالح التجارية لهذه الدول، ولاشك أن اختيارهم كان بناءً على معرفتهم بأحوال الشرق العربي ولغته، الأمر الذي يحتم عليهم إقامة طويلة في الشرق واحتكاك وثيق بأهله.

ولدينا من النصوص ما يثبت معرفة القناصل للعربية، وقدرتهم على نقل مراسيم السلطان التي يصدرها بشأن رعاياهم إلى لغاتهم، فقد حدث خلاف بين مسلمي الإسكندرية وتجار الفرنج بشأن أسرى المسلمين وذلك في سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، فما كان من نائب الإسكندرية إلا أن دعا قناصل الإفرنج المقيمين في المدينة، وقرأ عليهم كتاب السلطان المتضمن منع سائر الفرنج من السفر ما لم يردوا الأسرى:" فلما سمعت القناصلة والتجار ذلك كتبوا كتابا بالخط الرومي ودخل به رجل من المسلمين البحر، وجعله بعقب رمح وغرز سنانه بقاع البحر ورجع إلي البر، فأتى قارب من مراكب الإفرنج أخذه ورجع به إلى المراكب، فلما قرأوه تيقنوا أن أصحابهم مأسورون"[١].

- **رجال الدين المسيحي:**

نجم عن تسامح الدولة المملوكية تجاه النصارى ومنهم رجال الدين خاصة، وجود عدد كبير منهم في مختلف الأماكن المقدسة الموجودة على أرض الدولة المملوكية في القدس وبيت لحم وسيناء والناصرة وطور سيناء وغيرها من الأماكن المقدسة.

وتشير المصادر إلى أن رجال الدين المسيحي المقيمين على أرض الدولة المملوكية كانوا يمثلون مختلف الطوائف المسيحية من: روم وسريان وأرمن وكرج وأقباط وأحباش وفرنسيسكان[٢]، وكانت لهم أديرتهم وكنائسهم التي يتمتعون فيها بأتم الحماية والرعاية من الدولة وفقاً لما تذكره وثائق هذه الطوائف الصادرة إليهم من ديوان الإنشاء المملوكي[٣].

---

١. النويري، الإلمام:٥/١٩٢-١٩٣.

٢. انظر:علي السيد حسن، القدس في العصر المملوكي:٨٢-٨٧.

٣. انظر: Risani; Documenti E. Firmani, PP. 6-170. E rnst ., D ie Mamlukischen Sultansurkunden des Sinai -- Klosters, PP. 4-255.

وفـــوق ذلك فإن الإسكندرية كانت مركزاً لكرسي بطرك اليعاقبة الذي يتبع مذهبه نصارى النوبة والحبشة[1].

ولمـــا كـــان رجال الدين المسيحي يمثلون مختلف الطوائف النصرانية فإنهم كـــانوا يعرفون لغاتها، ولذلك فإن الدولة المملوكية كانت تستعين بهم في أعمال الترجمة عند الحاجة، ويتضح ذلك من خلال:

أ-المشـــاركة والتصـــديق علـــى الهـــدن بين المماليك والفرنج، فقد وقع المنصور قـــلاوون فـــي سنة ٦٨٩هـــ/١٢٩٠م هدنة مع الجنوية، وجاء رسل الفرنج إلى القاهـــرة لتوقـــيع الهدنة، فشهد عليها بطرس أسقف مصر وميخائيل الراهب من دير طور سيناء[2].

ب_تعريـــب الكتـــب الواردة إليهم ورفعها إلى السلطان المملوكي فيما إذا كانت متعلقة به[3].

ج- القـــيام بمهمـــة السفارة للسلطان المملوكي، وحمل رسائله إلى ملوك الغرب المســـيحي، حيـــث اســـتنجد صاحب الأندلس بالسلطان المملوكي في سنة ٨٩٢هـــ/١٤٨٦م طالـــباً منه النصرة على الفرنج الذين أشرفوا على أخذ غرناطة، فبعث السلطان قايتباي إلى :" القسوس الذين بالقيامة التي بالقدس، بـــأن يرسلوا كتاباً على يد قسيس من أعيانهم إلى ملك الفرنج صاحب نابل، بـــأن يكاتب صاحب قشتيلية، بأن يحل عن أهل الأندلس ويرحل عنهم، وإلا يشـــوش الســـلطان علـــى أهل القيامة، ويقبض على أعيانهم، ويمنع جميع طوائف الفرنج من دخول القيامة..."[4].

- **اليهود:**

ممـــا اتســـمت بـــه المجـــتمعات الإسلامية منذ عهد الرسول وفيما تلاه من العصور تسامحها مع اليهود، والقبول بوجودهم في إطار الدولة الإسلامية كأهل

---

١. انظر: صبح الأعشى:٥/٣٠٨. وانظر: Suriano,Treatise On The Holy Land, P. 90 .

٢. ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور:١٦٦-١٦٩.

٣. انظر: المصدر السابق: ١٧٢-١٧٣.

٤. ابن إياس، بدائع الزهور: ٣/٢٤٤-٢٤٥.

ذمـــة خلافـــاً لمـــا كـــان علـــيه حال يهود من اضطهاد وتقتيل في المجتمعات الأوروبية.

وانطلاقاً من قاعدة التسامح فإنه سمح لليهود بممارسة التجارة وجوب الآفاق بحـــثاً عـــن الثراء مما مكنهم من معرفة عدد من اللغات التي يتواصلون بها مع شعوب الأرض المختلفة، كما سمح لهم بالإقامة للعبادة في الأماكن المقدسة[1].

وبـــناءً علـــى مـــا تقدم فإن عدداً منهم قد برعوا في الترجمة وإتقان اللغات المخـــتلفة، كمـــا برعوا في التجارة والطب والصرافة وغيرها من المهن المهمة آنذاك.

فقد ذكر الرحالة اليهودي ميشولام أن مترجم السلطان المملوكي كان يهودياً مـــن أصـــل أســـباني، وكان عارفاً بسبع لغات هي العربية والإيطالية والتركية والألمانية والفرنسية إلى جانب اللغة العبرية[2].

ويحدثـــنا الـــرحالة الأوروبي بيرو طافور الذي شرع في رحلته إلى الشرق ســـنة ٨٣٩هـــ/١٤٣٥م- وكان، تاجراً وسفيراً أرسل لبلاط السلطان المملوكي- أن تـــرجمان الســـلطان مـــن أصل يهودي لكنه أسلك فيما بعد، يقول: " فتلقاني المـــترجم بالترحاب العظيم وأنزلني في داره، فبقيت به يومين قبل أن أتمكن من رؤية السلطان، وأخذ المترجم طوال هذه الفترة في محادثتي، فسألني الكثير عن نفسي، ولما عرف مني أنني قشتالي الأصل، أشبيلي المولد، امتلأت نفسه غبطة لســـماعه هذا النبأ، فقد ولد هو الآخر بها، ودرج طفلاً على ترابها، إلا أنه حمل صـــغيراً إلى بيت المقدس مع أبيه وكان يهودياً، لكنه أسلم حين مات أبوه، وكان

---

١. انظر: F.f Suriano Treatise On The Holy Land . (Jerusalem, 1949), PP. 101-102.

٢. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر:٦٤.

اسمه في بداية الأمر"حايم" أما الآن فيدعى "صايم" وقد أراد أن يعرف من أكون ومن أين جئت؟ فلم أكتم عنه شيئا من خبري لأنتفع بخدماته ونصحائه"[1].

وجاء في إحدى الوثائق المؤرخة في ٢٩من صفر ٨٢٦هـ/١١ من فبراير ١٤٢٣م، وذكر لخمسة من التراجمة المسلمين المعتمدين لدى الدولة المملوكية وهم: شمس الدين محمد بن العادل، وتقي الدين محمد بن الأسيوطي وشمس الدين محمد بن عمر ومحمد بن حمزة ومحمد بن علي بن كندك، ومترجم يهودي اسمه مردوخ بن شموال[2].

---

١. طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي:٦٤-٦٥.

٢. صبحي لبيب،"الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية:٢٩٦ ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط. ويبدو أن عائلات يهودية قد تخصصت في موضوع الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية من قبل العصر المملوكي ومن بعده.ففي ملخص لدراسة بعنوان"المترجمون إلى اللغة العربية في وهران في القرن ١٦" وهي من إعداد شانتال دي لافيرون من المركز الوطني للبحث العلمي بباريس مانصه: "عند البحث في الأرشيف العام بسيمنكا (إسبانيا) حول موضوع وهران أثناء الاحتلال الإسباني لاحظنا غياب وثائق الإدارة الإسبانية فيما بين ١٦٥٢-١٦٦٨ إلا أننا عثرنا على هذه الوثائق في لندن وجوناف. وتبين لنا أن أغلبها تتناول العائلات اليهودية الرئيسية في وهران والتي من بينها عائلات تتمتع بامتياز المناصب الرسمية للمترجمين إلي العربية ومن بين هذه العائلات توجد عائلة كانسينو، وقد مكّنتنا وثائق المتحف البريطاني والمكتبة الجامعية بجوناف من تتبع حياة وسير بعض أعضائها المترجمين إلى العربية لدى حكام وهران. وبالإضافة إلى كانسينو توجد عائلات زابورتاس والألبو التي تعتبر من ضمن العائلات السبعة التي سمح لها الأسبان بالإقامة بوهران. إن الوثائق المذكورة أعلاه تتحدث عنها في عدة مناسبات وتشير إلى أن بعض أعضائها كانوا مترجمين إلى العربية"، انظر: (المجلة التاريخية المغربية، السنة ١٧، العدد٥٩-٦٠، سنة ١٩٩٠).

فهرست المصادر والمراجع

أحمد عبد الكريم سليمان:

- **تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة**.ط١، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٨٥م.

ابن إياس، محمد بن أحمد(ت٩٣٠هـ/١٥٥٣م).

- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تحقيق: محمد مصطفى، ط٣، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤.

بروكلمان، كارل:

- **تاريخ الأدب العربي، القسم السادس** (١٠-١١). نقله إلى العربية: حسن محمود إسماعيل، الهيئة المصرية، القاهرة،١٩٩٥م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

- **المنهل الصافي والمستوفى على الوافي**(١-٦). تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦-١٩٩٠م.

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢م.

ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسين (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

- **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**. تحقيق: محمد محمد أمين، ط١، مطبعة دار الكتب، القاهرة،١٩٧٦-١٩٨٦م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

- **إنباء الغمر بأنباء أبناء العمر**. تحقيق: حسن حبشي، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسين مؤنس:

- "**سفارة بدرو مارتيرد أنجلاريا**"، ضمن كتاب: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

الخالدي العمري، محمد بن لطف الله (تاق٩هـ/١٥م):

- **المقصد الرفيع المنشا الهادي إلى ديوان الإنشا**. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٣٩).

الدروبي، سمير:

-" **حركة التعريب في ديوان الإنشاء المملوكي**"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٦٢، ص١١-٧٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ن.

- "**منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي**"، مجلة ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، ع١، مجلد٨، سنة ١٩٩٩م.

ديل، شارل:

- **البندقية جمهورية أرستقراطية. ترجمة:** أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، دار المعارف، القاهرة،١٩٤٩م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م):

- **معيد النعم ومبيد النقم**.ط١، دار الحداثة، بيروت،١٩٨٣م.

السخاوي، شمس الدين عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

- **الذيل على رفع الإصر**. تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بلا تاريخ.

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

-**مصر والشام في عصر الإيوبيين والمماليك**. دار النهضة، بيروت، بلا تاريخ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):

-**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم(ت٦٨٤هـ/١٢٨٠م).

– **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق: أحمد حطيط، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٨٣م.

الشيباني، أحمد بن أبي الفتح (ت٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)

– **رسالة رصف الفريد في وصف البريد**، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م.

صبحي لبيب:

- " **الفندق: ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية**". ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم: رؤوف عباس، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة –باريس، ١٩٨٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(٦٧٣هـ/١٣٦٧م):

- **أعيان العصر وأعوان النصر**. مكتبة السليمانية، مجموعة عاطف أفندي رقم (١٨٠٩)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورات، ١٩٩٠م.

- **الوافي بالوفيات**. تحقيق: هلموت ريتر وآخرون، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٦١-١٩٩٦.

الصيرفي، علي بن داود (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م):

- **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**. تحقيق:حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٣م.

طافور:

- **رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي**. ترجمة وتقديم:حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٨م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبدالله (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

-**تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**. تحقيق: مراد كامل، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة،١٩٦١م.

- **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**. تحقيق:عبد العزيز الخويطر،ط١، الرياض،١٩٧٦م.

عبد المنعم ماجد:

- **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**.ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

عفاف صبرة:

- **العلاقات بين الشرق والغرب**.دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

- **التعريف بالمصطلح الشريف**.دراسة وتحقيق:سمير الدروبي، جامعة مؤته، الأردن، ١٩٩٢م.

- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. مخطوط أحمد الثالث، طوبقابوسراي، رقم (٢/٢٧٩٧) و (٣/٢٧٩٧).

العيني، بدر الدين محمود (ت٨٤٩هـ/١٤٥١م):

- **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧م.

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم ٨١٥هـ-٨٢٤هـ)**. تحقيق: عبد الرازق القرموط،ط١، مطبعة علاء، القاهرة، ١٩٨٥م.

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** (حوادث وتراجم ٨٢٤هـ-٨٥٠هـ). تحقيق: عبد الرازق القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

- **تاريخ ابن الفرات**. عني بتحرير نصه: قسطنطين زريق، تاريخ ومكان النشر غير مذكورين.

قاسم عبده قاسم:

- **اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني**،ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة-باريس،١٩٨٧م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن المطبعة الأميرية.بلا تاريخ.

المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

- **إغاثة الأمة بكشف الغمة**. نشر: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال،ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

- **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

- **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تصحيح: محمد مصطفى زيادة،ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥٦م.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية**. طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

النويري، محمد بن القاسم (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

- **الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**. تحقيق: عزيز سوريال عطية،ط١، حيدر آباد الدكن، الهند،١٩٧٣م.

هايد،ف:

- **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**. عربه عن الترجمة الفرنسية: أحمد محمد رضا، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٩٤م.

ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم(ت٦٩٧هـ/١٢١٧م):

- **مفـــرج الكروب في أخبار بني أيوب**. تحقيق: جمال الدين الشيال وحسن محمد ربيع، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،١٩٥٣-١٩٧٧م.

اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

- **نـــزهة الـــناظر فـــي سيرة الملك الناصر**. تحقيق ودراسة: أحمد حطيط/ ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.